التعليم فى رأى القابسى

للأستاذ محمد يوسف موسى

رسالة دكتوراه للأستاذ أحمد فؤاد الأهوانى ، نشر مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ٣٢٦ صفحة القطع الكبير .

ظن كثير من الناس أن نشر رسالة فى التربية لعالم من علماء الإسلام لا يقتضى من المجهود ما يستحق به صاحبه درجة دكتور فى الآداب ، حتى نشر الأستاذ الأهوانى هذه الرسالة وقرأها هؤلاء الذين كان رأيهم هذا الرأى ، فتبين لهم أنهم كانوا على أنفسهم مسرفين

ومن الحق أن قارىء هذه الرسالة القيمة يتبين له بوضوح مقدار ما عانى صاحبها الفاضل وما بذل من جهد ، وما كان له من آراء خاصة ونقد قوى لما يستحق النقد من آراء القابسى وغيره من المستشرقين وبعض الكتاب المعاصرين .

***

جعل الأستاذ رسالته من قسمين : التعليم فى رأى القابسى وهو من علماء القرن الرابع ، ونص رسالة القابسى التى بين فيها أحوال المعلمين والمتعلمين .

بدأ أولا بعرض حياة القابسى وبيان منهجه فى رسالته ، وأن هذا المنهج كان منهج رجال الحديث الذين يعتدون بالآثار ويكرهون الابتداع ، كما كان واقعياً فيما عرض من آراء فى التعليم والتربية ، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يكون مؤرخا أيضاً ؛ فيعنى فيما يبحث من مسائل — إذا اقتضى الأمر — بردّها إلى أصولها التاريخية وتتبع تطورها إلى أن تبلغ زمانه (٤٦) .

ولم يفت الأستاذ أن يلحظ أن القابسى وإن كان واقعياً فى آرائه يعنى بتقرير الواقع ووصفه ، إلا أنه كان مثاليا فيما رأى من وجوب أن يكون تعليم الصبيان جميعاً إلزامياً (٥٠ ، ٨٣) ، وبهذا سبق بقرون عديدة ما رأته الأمم فى هذه الأيام .

ثم عرض بعد هذا إلى الكلام عن الكتاتيب فى الإسلام ، وإلى البواعث التى جعلت أصحاب الحديث هم المشرفين على التعليم ، وإلى الغرض من التعليم فى رأى القابسى ومناقشته . وهنا نراه يقوم لذلك بعرض تاريخى عن التعليم فى فارس والشام ومصر قبل الإسلام أخذ منه الفصل الرابع كله والفصل الخامس أيضاً .

ويطول بنا الحديث إذا أردنا تحليل الرسالة وبيان ما وعت من مسائل عديدة عولجت بمقدرة وشجاعة وعمق جدير بالإعجاب ، ولكنه يجب علينا مع هذا أن نشير إلى أن الأستاذ الفاضل كان موفقاً وقوياً فى نقده للقابسى فى منهجه وفى بعض آرائه التى قررها وفى نقده لبعض الذين كتبوا فى التربية عند المسلمين من المستشرقين وغيرهم من المسلمين المعاصرين ، لقد كان موفقاً فى ذلك كله إلى أبعد حدود التوفيق .

١ — نقد القابسى فى منهجه الذى يقوم على تلمس الآثار وآراء السابقين ، بأن هذا لا يصلح فى التربية لما يدعو إليه من جمود وحجر على الرأى ، وبخاصة والأمر أمر يتصل أوثق اتصال بشئون الدنيا (ص ٣٣) .

٢ — نقده أيضاً فى أنه أهمل فى الآراء التى أنهى إليها نفسية الطفل ورعاية مراحل نموه ، كما أهمل العلوم الطبيعية والرياضة البدنية فلم يجعلها من العلوم الواجب أن يؤخذ بها الناشئة ، على أن الأستاذ كان منصفاً حين لاحظ أن هذه الآراء كانت أثر البيئة الاجتماعية فى عصر القابسى ، وأن العيب الأول كان عيب العصر كله فى الشرق والغرب (ص ١٥٧) .

٣ — وكذلك نقد بعض المستشرقين ومن أخذ إخذهم ؛ إذ لم يفرقوا فيما ذهبوا إليه من أغراض التربية عند المسلمين وآرائهم فيها بين المؤلفين الواقعيين كالقابسى والمثاليين كابن عبد البر والغزالى وإخوان الصفاء ، ومن ثم كان خطأ أولئك الكاتبين — ومنهم الدكتور خليل طوطح فى كتاب التربية عند العرب — فى اعتبارهم آراء هؤلاء المؤلفين آراء المسلمين جميعاً . ص ٢٠١ وما بعدها .

٣ — والأستاذ « كارادى فو » المستشرق الفرنسى المعروف ناله شواظ من نقد الأستاذ الأهوانى بحق ؛ فقد زعم فى كتابه « مذهب الإسلام » أن الشرق الإسلامى ليس فيه الذوق

الفطرى للتعليم ، وأن الإسلام لم يهتم بأمر الطفل ... فأكد لنا الأستاذ الأهوانى أن هذا المستشرق لو عرف رسالة القابسى لغير هذا الرأى الخاطىء ، فكيف بها وبغيرها من المؤلفات التى عنيت بالتربية والتعليم ! (ص ٢٢٥ — ٢٢٦) . هذه الرسالة التى — كما جاء فى آخر القسم الأول من البحث — وضع بها القابسى مؤلفها أسس التربية بحيث تلائم المجتمع وحاجة العصر ، والتى فكر فيها فى التعليم الإلزامى وتعليم البنات .

وبعد فقد كنا نود الوقوف عند هذا ، ولكن نرجو أن يسمح لنا الدكتور الفاضل بأن نشير إلى أمرين :

(ا) استعمل فى مواضع «أهل السنة» للدلالة على «أصحاب الحديث» (ص ٧٥ ، ٧٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣) . والمعروف أن أهل السنة فى المقام الذى جاء ذكرهم فيه ، هم الأشاعرة والماتريدية الذين يقابلون المعتزلة ، لا أصحاب الحديث ، كما يتبين من ابن خلدون وطاش كبرى زاده وغيرهما من الذين عرضوا للكلام والمتكلمين

(ب) ذكر الأستاذ الفاضل (ص ٧٧) رأى الغزالى عن المعتزلة من أنهم رأوا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بأدلتهم فهو كافر ... ومع أن هذا ، كما ذكر الأستاذ ، ورد فى فيصل التفرقة للغزالى ، إلا أنه كان الواجب فى رأيى أن يأتى الأستاذ بنص فى ذلك من كتب المعتزلة أنفسهم ، لا من خصم لهم ، ولكنا نعرف قول الخصوم بعضهم على بعض . وبخاصة والمعروف المشهور أن هذا التضييق على الناس فى وجوب معرفة الله من أدلة خاصة لها مقدمات خاصة هو رأى القاضى أبى بكر الباقلانى الذى ذهب إلى أن بطلان الدليل يؤذن ببطلان المدلول ؛ حتى جاء إمام الحرمين الجُوَيْنى وأعرض عن هذا الرأى ، وقرر أن بطلان الدليل لا يؤدى إلا بطلال المدلول بحال .

هذا ، وليس هذا المأخذ أو ذاك مما ينقص من قيمة هذه الرسالة القيمة التى عالج فيها صاحبها العالم الجليل مسائل التربية والتعليم — على تنوعها وتعددها — فى القديم والحديث بمقدرة يستحق التهنئة عليها وأسلوب واضح مبين ومنهاج مستقيم لا عوج فيه . وهذا كله وأكثر منه ننتظره من الدكتور الأهوانى الذى تخصص فى هذا الموضوع زمنا طويلا .

محمد يوسف موسى

مرايا النـــاس (*)

للأستاذ حبيب الزحلاوى

السيدة وداد سكاكينى ، أديبة سورية ، وكاتبة من الطراز الأول بين جميع بنات جنسها ، وأقدر من عرفت من كاتبات العربية على الجمع بين حسن الديباجة ، وطلاوة الأسلوب ، وسلامة البيان ، واختيار الألفاظ ، وبراعة السبك ودقة التصوير خصوصاً فى الأمور الواقعية .

ما قرأت لهذه السيدة بحثاً من البحوث إلا أحسست بالجهد الذى أنفقته والعناية التى بذلتها فى صقل جملها لتكون على أجمل وأكمل ما يتراءى لها ، وعلى أحسن ما يمكن أن يكون وقعها فى نفس قارئها ، وهذه صفات قلما وجدنا لها نظيراً بعد المرحومة الآنسة « مى » بين كاتبات العربية فى هذا العصر . بل هى ميزة تمتاز بها على قريناتها خصوصاً فى معرفة مداخل الموضوعات والخلوص منها .

جمعت هذه السيدة الفاضلة ما كتبت فى مستهل حياتها من قصص فى كتاب أسمته « مرايا الناس » ؛ وأول ما يبدو لخاطر قارىء هذه المجموعة أن مؤلفتها كانت حبيسة دار الزوجية لا تسمع فيها — إن سمعت — سوى أحاديث الكتاب والأدب ، والكتّاب والأدباء ، ولا تخرج من دارها إلا لتذهب إلى المدرسة تعلم بعد أن تعلمت وأخذت منها كل ما يمكن أن تعطيه لفتاة مجتهدة مثلها ، وإذا جنحت عن المدرسة أو البيت — وقل ما نلاحظه فى هذه المجموعة أنها جنحت عنها — فتكون لزيارة صديقة قريبة أو زميلة . وقد ألمس الحقيقة إذا قلت إن حوادثها الخاصة وصورها الذاتية المرسومة فى كتاب « مرايا الناس » مستمدة من محيط ضيق كل الضيق لم يتخط بيت طفولتها ، ودور المدارس ، ومنزل الزوجية . والمؤلفة برغم هذه العقبات وأشبهها عقبات كأداء لسيدة متوثبة الذهن ، متحفزة لاقتحام ميدان الحياة واجتلاء أسرارها ، ألفتّ هذه المجموعة من القصص فجاءت ضيقة الحدود ، متعرجة الخطوط ، ناصلة الألوان ، غير واضحة المعالم ، وقد بدا شأنها فيها كشأن مقتحم الصحراء وهو غير مزود حتى بالبوصلة . وأزعم أن مجموعة قصصها الجديدة ، وقد كتبت ما كتبت منها تحت سماء مصر ، هذا القطر السعيد ،

(*) يقع فى ١٥٣ صفحة من القطع الوسط ويطلب من مكتبة مصر